
دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

درقاوة والمخزن في عهد المولى سليمان

1792–1822 م *


د. محمد الخداري

مقدمة

شكل ظهور الطريقة الدرقاوية أواخر القرن الثامن عشر الميلادي هزة قوية داخل المجتمع المغربي بأسسها وشعاراتها غير المألوفة على الواقع الصوفي والفقهي المغربي، في فترة لعبت فيها الطوائف الصوفية دورا كبيرا في الحياة السياسية نتيجة ضعف المخزن. وتزامن انتشار الطريقة الدرقاوية مع وصول المولى سليمان إلى الحكم. وتميزت العلاقات بين درقاوة والمخزن تارة بالتوقير والاحترام من جانب المخزن وتارة بالتنكيل والمحاكمة. وتورط الجانبان في ثورة درقاوة بالجزائر، ووصلت إلى حد المواجهة المباشرة بين الجانبين تكبد فيها المخزن هزائم شنيعة، وانتهت إلى مشاركة درقاوة في فتنة فاس سنة 1820، والتي أدت إلى خلع السلطان المولى سليمان عن الحكم. وأثرت في هذه العلاقات جوانب صوفية واجتماعية وسياسية متعددة.

الطريقة الدرقاوية

في العقود الأخيرة من القرن الثامن عشر، عرف التصوف الطرقي المغربي أزمة أدت بالناس إلى الخلط بين مبادئ التصوف الشاذلي مع سائر أفكار

* باحث من الرباط

التصوف القديم، فشاع بين أتباع الطرقيين الترف والكسل(1)، وابتعدوا عــن تعــاليم أبي الحسن الشاذلي واهتموا أكثر بجمع الأموال وتولي المناصب وكسب المزيد مــن الامتيازات(2). في خضم ذلك، ظـــهرت الطريقــة الدرقاويــة لإرجــاع الحركيــة والمصداقية للتصوف، وتحلت بروح التجديد في إطار التصوف الشـــاذلي، "لكنــها جاءت كذلك كثورة اجتماعية على قيم المجتمع"(3). واتضح ذلك جليا فـــي أسســها وشعاراتها التي نادت بها وبدت غير مألوفة على الواقع الصوفي والديني المغربي.

تنسب الطريقة الدرقاوية إلى الشيخ مولاي العربي الدرقـــاوي(1159–1239 هـ/1737 - 1823 م)(4)، الذي قام بتحرير النشاط الصوفي المغربي من قيود ظلـــت تسيطر عليه قرابة قرن من الزمن وأرجع له حيويته. أسس زاويته الأولى ببوبريــح بقبيلة بني زروال سنة 1201هـ-1786م /والتي اعتبرت الزاوية الرئيســية للطريقــة الدرقاوية ، ومنها انتشرت أسس وشعارات هذه الطريقة بسرعة وامتــد ذلــك إلــى البلاد الإسلامية . وأهم ما ميز الطريقة الدرقاوية أنها كانت تدعــو إلــى تصــوف عملي اجتماعي يشارك في مختلف شؤون البلاد الاجتماعيـــة والسياســية(5)، دون الانعزال في الجبال والخلوات والعكوف في المنازل. واعتبرت أنـــها ذات منحــى سني ومرجعيتها الكتاب والسنة وسيرة السلف الصالح(6). وعلى هذا الأساس نعتــت على أنها تنبني على اتباع السنة في الأقوال والأفعال والعبادات(7).

لم يكن في نية مولاي العربي إنشاء طريقة جديدة، لكن كان هدفه الأســمى هو إعطاء نفس جديد وحركية ومصداقية للتصوف الشاذلي(8)، الذي عــم انتشــاره المغرب(9). لكن في خضم هذا التجديد جاءت الدرقاوية بثورة على قيـــم المجتمــع بأسسها وشعاراتها التي بدت غير مألوفة وحتى غير مقبولة لدى الصوفيين والفقــهاء على السواء.

جعل مولاي العربي الدرقاوي في طريقتـــه طريقتيــن: الأولــى طريقــة التجريد{خرق عوائد القوم} والتقشف والجلال، وكان يأمر به من يرى فيه كبريـــاء وافتخارا، أو أنه لا يشفي إلا بذلك. وكان مولاي العربي يقصد من ورائـــها تنبيــه شاذلية عصره الذين بالغوا في الاستفادة من مبدأ "التنعم بالنعم" واستغلوه في جمـــع الأموال والاستفادة من الامتيازات والاهتمام أكثر بالشؤون الدنيوية.

وسبب هذا التوجه محاكمة درقاوة بتطوان مما حدا بمولاي العربـــي إلــى اختيار طريقة ثانية، جمالية حافظ فيها أتباعه على جميع مظــاهرهم المعتــادة فــي الحياة دون خرق عوائد القوم، وهذا ما ساعد على انتشار الطريقة الدرقاويـــة مــع تلميذه محمد الحراق(1188–1261هـ/1774–47–1848).

وامتاز درقاوة عن غيرهم بشعارات عرفوا بها خاصة في ســـلوك طريــق التجريد{خرق العوائد} وهي :لبس المرقعة، حمل السبحة الكبيرة في العنق، اتخـــاذ العصا والسؤال(10). وزيادة على هذه الشعارات، شكل الذكر وحلقات الذكــر جــهرا

في المساجد والأسواق محور طريقتهم(11)، وجعله درقاوة أساسيا في طريقتهم وفي اجتماعاتهم وسياحاتهم ورسائلهم ومراسلاتهم(12).

فكيف كانت إذن علاقات الطريقة الجديدة بأسسها وشعاراتها الغريبة مع المخزن، وما هي العوامل التي أثرت في تلك العلاقات؟.

علاقات التوقير والاحترام

قبل الخوض في علاقة الشيخ مولاي العربي الدرقاوي بملوك الدولة العلوية، لابد من الإشارة إلى العلاقة الجيدة التي كانت تربط بين الشرفاء الدرقاويين والملوك العلويين ومن قبلهم السعديين، حيث حظي هؤلاء بظهائر التوقير والاحترام. وفي هذا الاتجاه يقول السلطان المولى اسماعيل في ظهير مؤرخ يوم 17 رجب 1083هـ/8 نونبر1672): " ... يستقر هذا الظهير الكريم ..بيد حملته أبناء عمنا الشرفاء الأجلة... إننا جددنا لهم حكم ما بأيديهم من ظواهر(كذا) أسلافنا الصادرة لهم من والدنا الشريف بن علي والأخوين محمد ومولاي رشيد... وظواهر الملوك السالفة قبل هذه الدولة السعيدة المتضمنة لهم مزيد التوقير والاحترام وجميل الرعي والتشريف المستدام..."(13)، وحذر السلطان المولى اسماعيل من يتعرض لهم ولممتلكاتهم وبسط لهم يد التصرف في جميع زواياهم المتفرقة في البلاد كزاوية جدهم أبي درقة وزوايا أخرى والتمتع بأوقافها(14)...

وقد اطلع محمد البشير الفاسي صاحب كتاب "قبيلة بني زروال" (15) على عدة ظهائر من ملوك الدولة العلوية تعظم الدرقاويين كظهير سيدي محمد بن عبد الله وظهير المولى سليمان، والذي وصف فيه الشيخ العربي الدرقاوي بالزهد ومعرفة الله(16). واستمر التوقير والاحترام من جانب السلاطين العلويين تجاه الدرقاويين حتى بعد تأسيس مولاي العربي الدرقاوي للطريقة، والذي كانت علاقته طيبة بملوك الدولة العلوية الذين عاصرهم. وفي هذا الصدد يذكر في رسائله أنه أيام جفاف ومجاعة على عهد سيدي محمد بن عبد الله (17)، وجد سكان قبيلة بني احمد القريبة من قبيلته بني زروال قد ذبحوا على ضريح احمد بن يوسف كعادتهم يطوفون ويطلبون الغيث والرحمة من الله فقال:" ... إذا بنفسي تحدثني بأن الإجابة لا تحصل لكم إلا إذا نصرتم السلطان بقلوبكم وجوارحكم وبأعلا(كذا) أصواتكم ثلاث مرات إذا كان لا ينصره أحد في ذلك الوقت بل ولا يذكره قط إلا بقوة..." (18).

وكانت علاقة مولاي العربي الدرقاوي بالسلطان سيدي محمد طيبة ويذكره الشيخ في رسائله بالعبارات التالية: " السلطان الأعظم الشريف الأكرم" (19) واستمرت هذه السمة التي تطبع العلاقة بين السلاطين العلويين والدرقاويين، كما استمر الشيخ مولاي العربي في مسايرة الأحداث التي عرفتها البلاد والمشاركة فيها دون الخروج عن طاعة السلطان. فحين تولى المولى اليزيد الحكم(1790-1792م) كرس كل جهوده لتحرير الثغور المحتلة خاصة مدينة سبتة، حيث وجه نداء من

تـــطوان للمدن والقرى والقبائل في بداية سنة 1205هـــــ/ســبتمبر1790م، يـــأمرهم بالجهاد (20). وكانت قبيلة بني زروال من القبائل التي لبت أمـــر الســـلطان وكـــان مولاي العربي الدرقاوي من المجاهدين المشاركين في حصار سبتة في بداية شـــهر ربيع الثاني 1205هــ/دجنبر 1790م (21).

وحتى في خضم الأزمة التي شهدها المغرب بعد وفاة المولى الـــيزيد ســـنة 1792م وصراع إخوته الثلاثة على الحكم(سليمان، مسلمة أو سلامة، هشـــام) لعـــب درقاوة وشيخهم دورا مهما في هذه الأحداث، ذلك أنه بعد بيعة المولى سليمان بفاس نافسه أخوه مولاي مسلمة بالهبط وجبالة، حيث بايعه الناس بضريح مـــولاي عبـــد السلام بن مشيش، ويظهر أن الدرقاويين ساندوا المولى سليمان في هـــذا الصـــراع فعند مرور المولى مسلمة بجبال الزبيب مقر استقرار الدرقاويين ببني زروال، لـــم يقبلوه وطردوه منها، وبعد انهزام قواته أمام جيوش أخيه فر إلى تلمسان(22)، ومنها رجع إلى سجلماسة لكنه سافر إلى المشرق ومر بتونس ومكة، وعند رجوعه فضـــل الاستقرار بالجزائر ومن مدينة وهران طلب العفو مـــن الســـلطان (23)، واســـتجابة لطلب المولى مسلمة، أرسل المولى سليمان عن طريق ابنه مـــولاي عبـــد الســـلام رسالة إلى الشيخ العربي الدرقاوي تتضمن براءتين إلى المولـــى مســـلمة مؤرخـــة بتاريخ 22 ربيع الثاني 1212هــ/14 أكتوبر 1797م، يقول فيها : " ... يأمرك الســـلطان أيده الله أن تتوجه بهما لمولاي مسلمة ليطالعهما وأكد علينا السلطان غاية في بعثهما إليك وأنت تتولى قراءتهما على أخينا مولاي مسلمة وحتى الكتاب الذي وجـــه لنـــا السلطان بعثناه إليك لتتحقق من تأكيده علينا في ذلك، فالمؤكد عليك أن تتحزم فـــي هذا الأمر لعل الله يجعل الفتح على يدك فأنت أولى بهذه السنة من غيرك وما هـــي بـــأول بركتك أهل البيت والسلام" (24).

وبالفعل، فقد توسط المولى العربي الدرقاوي في هذا الخلاف، وسافر إلـــى الجزائر صحبة ابن السلطان مولاي احمد وهما في طريقهما إلى الحج، حيث قصـــد الشيخ وهران وناول المولى مسلمة كتاب السلطان (25) . ويظهر أن الشيخ الدرقاوي نجح في وساطته، حيث يورد الناصري أن المولى مسلمة رجـــع إلـــى سجلماســـة ورتب له السلطان ما يكفيه (26).

وبقي مولاي العربي محاطا بالتقدير والاحترام من لدن المخزن ورجالاتـــه ففي سنة 1212هــ/98-1797م، توسط الشيخ في إطلاق سراح قائد قبيلة بني مـــالك وهو القائد الطاهر بن الحفيان رغب فيه مولاي العربي الدرقاوي..." (27).

لكن هذه السمة الطيبة التي طبعت علاقة مولاي العربي بالسلاطين العلويين وبالمولى سليمان على الخصوص، سوف تتأثر بعدة أحداث منها موقـــف الســـلطان من ثورة درقاوة بالجزائر، ومحاربته لبعض ممارسات الطرقية، فتضاربت مصـــالح الشيخ المتصوف الراغب في نشر طريقته والاستفادة أكثر من الأحداث التي عرفتها

البلاد، وبين السلطان الراغب في القضاء على منافسيه وتوطيد حكمه وصد الأخطار الخارجية.

علاقات متوترة

انتفاضة مرتيل أو تمرد مرتيل

ترجح بعض المصادر الأجنبية ضلوع درقاوة في هذا الحدث، فقد تعرض مرسى مرتيل في فبراير 1794م، إلى هجوم قبائل مجاورة لتطوان أدى إلى مقتل أربعة بحارة إسبان وثمانية حراس مغاربة وإحراق خمس سفن اسبانية وإتلاف دار الأعشار (28). وحسب الأستاذ محمد المنصور فإن أخبار هذه الانتفاضة جاءتنا عن طريق المصادر الأجنبية وخاصة المراسلات الديبلوماسية الأوربية (29) . فحسب القنصل البريطاني "ماطرا" أن هذا الهجوم جاء احتجاجا لسكان تطوان والقبائل المجاورة على السماح بتصدير المواد الغذائية والذي استفادت منه كثيرا اسبانيا وهي محاولة من طرف السلطان لاستمالتها أو جعلها تقف موقف الحياد في صراعه ضد أخيه هشام الذي ساندته اسبانيا، هذا التصدير أضر بالسكان ورفع أسعار المواد الغذائية إضافة إلى المعارضة الدينية والصوفية لذلك، ويظهر أن درقاوة شاركوا في هذه الأحداث، حيث تشير الوثائق الإسبانية (30) إلى ضلوع درقاوة في هذا الهجوم (31). وقد ظهر ذلك في سلسلة من المضايقات والقمع التي تعرضوا لها من طرف رجالات المخزن بتطوان. وكان في تزامن ذلك مع محاكمة درقاوة تطوان أكبر دليل على مشاركة درقاوة في هذا التمرد.

محاكمة درقاوة بتطوان سنة 1794 م

أمام الانتشار السريع للطريقة الدرقاوية، ولأسسها وشعاراتها التي بدت غريبة عن المشهد الصوفي والفقهي، حاولت الزوايا الأخرى الوقوف ضدها، كما أن السلطان نفسه لم يكن مرتاحا لهذا النجاح الكبير الذي حققته في ظرف وجيز. فكانت مدينة تطوان مسرحا لمحاكمة درقاوة بإيعاز من الريسونيين الذين ساندهم المخزن ورجالاته بالمدينة. ولم تكن تطوان خالية من الزوايا قبل ظهور الدرقاوية بل كانت توجد بها زوايا فاسية وناصرية (32)، وكان بها أتباع بعض الزوايا كالحمدوشية والعيساوية والجيلانية يقومون بأعمال غريبة وشاذة (33)، في حين خلت هذه الزوايا من الشيوخ (34)، فاستغل ذلك السياسيون لتبقى شؤون العامة بأيديهم (35) واستفاد المولى سليمان بعد وصوله إلى الحكم من هذه العطيات الموجودة بالمدينة حيث شكلت الزاوية عامل استقرار بها وبأحوازها، فتقرب من الشرفاء الريسونيين لكسر شوكة الوزانيين الذين تدهورت علاقته بهم بعد مساندتهم المولى مسلمة (36). ونجح في خلق تحالف لأعيان تطوان ضم العلماء والشرفاء الريسونيين لمواجهة الانتشار السريع للطريقة الدرقاوية (37) التي ما فتئ شيخها مولاي العربي يبحث عن فقيه عالم يساعده على نشر أسس الطريقة وشعاراتها حيث وجد ضالته في

الشيخ أحمد بن عجيبة(60-1161-47-1748/7 شوال 1224-15 نونبر1809(38) الــذي عرفت الدرقاوية معه منعطفا حاسما، حيث كان له أكبر الأثر في تــأصيل أصــول الدرقاوية وتقعيد قواعدها الصوفية (39). وبــتأثير من شــيخه كانت دعوته انقلابيــة تدعو إلى خرق عوائد القوم (40)، التي ألفوها بعد ابتعادهم عن أصــــول التصــوف والإسراف في استغلال مبدأ التنعم بالنعم الذي تأخذ به الشــاذلية، فجــاءت حركــة درقاوة في شخص ابن عجيبة ضد العلماء والمتصوفة والحكام (41)، وبقدر ما كــانت هذه الحركة ممزوجة بثورة عنيفة كانت مقاومة السلطة لـــها عنيفــة أيضـــا (42)، وكانت موجهة بالخصوص لإصلاح الفكر الصوفي المغربي على الأقل ضد عــادات وتقاليد طرقية زائفة مثل التي كان يقوم بها أتباع الحمدوشية والعيســـاوية، وكذلــك ضد طبقة تتبجح بنسبها وجاهها دون إدراك حقيقة التصوف.

واستطاع الأشراف الريسونيون والعلماء تأليب الجماهير وحتى السلطة ضـد الدرقاويين بعد نسج حكاية غريبة ضد الهاشمي أخ الشيخ احمد بن عجيبة واتـــهموه بتلقين الورد لإمرأة في غياب زوجها وفي عقر دارها. حكى الزوج ذلك للشيخ علي بن احمد الوزاني بوزان الذي أرسله إلى قائد تطوان الصريدي ليعـــرض قضيتــه وأوصى القائد بسجن الهاشمي بن عجيبة (43)، ولما سمع الشيخ احمد بـــن عجيبــة بسجن أخيه، خرج إلى القائد وقال له إنه لا يفارق أخاه فزجه في السجن معــه (44). وكان مولاي العربي الدرقاوي قد بعث بعض الدرقاويين لزيارة ضريح مولاي عبـد السلام بن مشيش وزيارة الإخوان بتطوان، ولما اقتربوا من المدينة وصلتهم أخبـــار سجن بن عجيبة وأخيه، فقرروا زيارتهما بالسجن، وكانوا أحد عشر شخصا دخلـــوا المدينة على الذكر جهرا، فقبض عليهم نحو عشرين من رجـــال القــائد(مخازنيـــة) وقادوهم إلى داره، حيث خرج احمد الزواق عامل حوزي كان يتوسط بينهم وبيــــن الــقائد، فــنزع عنهم السبحة والــمرقعة والعكاز ودخل بهم إلى الــقائد واقتيـــدوا إلى السجن حيث وجدوا احمد بن عجيبة وأخيه الهاشمي قد أكملا ثلاثة أيـــام فـــي السجن (45) " وقد ضرب جلهم وقهروا على الرجوع فأشهد سيدي احمد على نفســـه وأخوه(كذا) قهرا وخرجا وبقي الآخرون ..." (46) .

وتحت ضغط العلماء، بقي درقاوة الآخرون بالسجن، وتقابل احمد الكوهـــن مع العلماء الذين ذموا أحوال درقاوة، فرد عليهم بـــأحوال النبــي(ص) والصحابــة وردوا عليه بأجوبة واهية ... وقال لهم : " كنت أظن أن عقولكم أكبر من هذا إذ هي عقول العلماء فإذا أنتم هكذا فإنا لله وإنا إليه راجعون" (47). وســب القـــائد الـــزواق الشيخ الكوهن والشيخ مولاي العربي الدرقاوي، وكان هدف العلماء والقائد حســـب ابن عجيبة والمكودي صرف الفقراء عن الطريقـــة الدرقاويـــة (48)، وبعــد فشــل محاولاتهم، طلبوا من احمد الكوهن النهي عما صدر من بعض الفقراء مثل اجتمـــاع النساء والرجال ونهب الناس وكثرة الإلحاح في السؤال، فرد الكوهن على القــائد أن درقاوة لا يوافقون على مثل هذه الأمور، وأمروه بكتابة ذلك، فكتب لهم بذلك أنـــهم

على السنة النبوية وأنهم بريئون من أفعال بعض الفقراء، وعلل المكودي ذلك بأنهم " تذرعوا بهذا العمل ولم يظفر ولم يظفروا بطائل ..." (49).

وبعد الكلام الذي دار بين الفقيه الكوهن والعلماء يحكي ابن عجيبة ما قال له القائد : " ترجع إلى مسجدك وتدريسك وأخوك كذلك وإلا ضربت القيد على أرجلكما وسجنتكما ... ثم كتب إلى السلطان يعلمه بذلك، فكتب إليه : إن لم يرجع الفقيه ابن عجيبة عن ذلك فقيده وأرسله إلي" .(50) .وكان موقف السلطان المولى سليمان واضحا من محاكمة درقاوة:

1 - فالسلطان لم تمض على توليه الحكم سوى سنتين، حيث كان هدفه الأول هو المحافظة على الأمن والاستقرار وتثبيت سلطته .

2 - كان قلقا من انتشار الطريقة الدرقاوية بين أوساط الفقهاء، وابن عجيبة خير مثال على ذلك.

3 - حاول السلطان الحفاظ على وضع تطوان المتميز، فهي قريبة من سبتة المحتلة ومعروفة بتقاليدها وعاداتها الأندلسية .

وأمام التبريرات الواهية التي قدمها معارضو الدرقاوية بتطوان وأمام تورطهم الواضح في هذا المشكل، أطلق سراح الدرقاويين، في حين كشفت محاكمة درقاوة عن مظاهر شتى كانت متفشية بالمجتمع المغربي منها: التزمت والظلم ونفاق العلماء والفهم الخاطئ للتصوف الذي عمل به الريسونيون.

أدت محاكمة تطوان بالشيخ مولاي العربي إلى تغيير النهج في نشر طريقته حيث عمل مع تلميذه الفقيه محمد الحراق على عدم خرق عوائد الناس وحفاظهم على عاداتهم ومظاهر حياتهم العادية. وفي المقابل وطد السلطان المولى سليمان حكمه بالقضاء على منافسيه، ولم تشهد العلاقات بين المخزن ودرقاوة أية مشاكل أو صراعات حتى اندلعت بغرب الجزائر ثورة درقاوية عارمة تورط فيها الجانبان.

تورط الشيخ الدرقاوي والسلطان في ثورة درقاوة بغرب الجزائر

انتشرت الطريقة الدرقاوية بسرعة، وشمل ذلك البلدان الإسلامية نتيجة الزيارات والسياحات التي اعتبرها درقاوة أساسية لنشر طريقتهم، زيادة على طرق قوافل الحج وتنقل الأشخاص. وشكلت الجزائر أواخر القرن 18 م أول حقل لدرقاوة لنشر طريقتهم والبحث عن مريدين جدد داخل السكان المستاءين من حكم الأتراك (51) . وتزامن هذا الاكتساح السريع للطريقة مع تبلور جديد للدور الايجابي للزوايا والطرق الصوفية حتى أصبحت المعبر الوحيد الذي لا غنى عنه، وشكلت قوة تحرير وطنية بكل معنى الكلمة (52) . وفي ظل وضع داخلي متأزم بالجزائر اتسم بالعنف من طرف الأتراك ... واندلاع الثورات الداخلية نتيجة الفقر وإثقال كاهل السكان بالضرائب، زيادة على القحوط ونقص المال (53) ، وفساد النظام التركي الذي وصل إلى مداه مع حكم الدايات(1671–1830م)لاعتماده على القوة

وتجاوز حكامه الغرباء عن البلاد حدود سلطتهم القانونية (54)، اندلعت اكبر وأخطر ثورة شعبية على الأتراك منذ دخولهم الجزائر ألا وهي ثورة الطريقة الدرقاوية (55) والتي تزعمها أحد تلامذة الشيخ العربي وهو عبد القادر بن الشريف مقدم الطريقة بالجزائر، والذي كان مواظبا على زيارة شيخه مرة كل سنة في ركب من المريدين الجزائريين، ويرى البعض أن الشيخ أرسله إلى منطقة وهران لنشر الطريقة (56) . والأكثر من ذلك أنه في إحدى زياراته المعتادة لشيخه، اشتكى ابن الشريف له ظلم الترك للرعية والعلماء، فحثه الشيخ على جهادهم وقتالهم (57) . ويجمع المؤرخون أن سبب اندلاع الثورة هو قتل باي وهران لفقراء درقاوة وإعطاء أوامره للجنود بالقبض على ابن الشريف (58). وكانت ثورته مرتبطة بثورة درقاوي آخر يدعى محمد بن الأحرش (59) بقسنطينة شرق الجزائر واستمرت من سنة 1804 إلى سنة 1807 حيث مات مغتالا بعد التحاقه بابن الشريف. وامتدت ثورة هذا الأخير من الشلف إلى الحدود المغربية حيث جمع حوله القبائل والأتباع وهزم باي وهران مصطفى بن عبد الله العجمي في فرطاسة في 8 ربيع الأول 17/1219 يونيو 1804م ثم دخل معسكر وهزم خليفة الباي. وأمام هذه الانتصارات المتتالية، قصد ابن الشريف وهران لفتحها، وقد انسدت الطرق بينها وبين الجزائر برا، وبعد عجزه عن هزم درقاوة عوض الباي مصطفى بباي جديد هو محمد بن عثمان الملقب بالمقلش، الذي وصل لوهران عبر البحر لصعوبة الوصول إليها برا حيث وجدها محاصرة من طرف الدرقاويين (60).

وقد رسخ درقاوة روح العداء الذي تنامى بالبلاد ضد الحكام الأتراك وتسببوا في استفحال أمر الثورة، مما حدا بداي الجزائر(الداي مصطفى باشا 1213-1220هـ/1798-1805م إلى مراسلة السلطان المولى سليمان يخبره بثورة ابن الشريف وبأن شيخه مستقربالمغرب ويطلب منه إرسال مولاي العربي إلى المنطقة لإعادة الهدوء إليها، فقرأ السلطان رسالة الداي على الشيخ الدرقاوي وأمره بالسفر إلى غرب الجزائر لإعادة الهدوء إلى المنطقة (61).

واختلف الإخباريون والمؤرخون المغاربة والجزائريون في توضيح حقيقة المهمة المنوطة بالشيخ مولاي العربي لدى تلميذه ابن الشريف، وموقف السلطان المولى سليمان من ثورة درقاوة وملابساتها المختلفة. ويبدو أن إرسال الشيخ من طرف السلطان كان مجرد عملية بسيطة لحل المسألة، وهو تصرف حذر في انتظار رد فعل الأتراك (62) . ولما وصل الشيخ إلى المنطقة، يبدو انه تعاطف مع الثوار الدرقاويين ضد ظلم وجور الأتراك (63) ، وحسب الناصري " ربما صدر منه تقبيح لفعل الترك وما هم عليه، فازدادت العرب بذلك تظاهرا على الترك وتكالبا عليهم، فاتهم الباي السلطان بأنه الذي يغريهم لأنه كان ينتظر الفرج على يده ويرجو رفع الخرق من جهته فأخفق سعيه" (64) . ويرى بعض المؤرخين أن

السلطان المولى سليمان بعد استرجاعه وجدة سنة 1797 من يد الأتراك استغل درقاوة في غرب الجزائر لصالحه (65).

لم يكن هدف السلطان خلق متاعب لأتراك الجزائر في الوقت الذي كانت فيه العلاقات جيدة بين البلدين، وهذا ما جعل باي وهران وداي الجزائر يطلبان من السلطان إرسال الشيخ الدرقاوي لتهدئة الأوضاع بالمنطقة. وينفي المؤرخون تورط السلطان في إثارة هذه الثورة، لكن تضامن المغاربة وخاصة الدرقاويين مع السكان نزل بثقله على العلاقات بين البلدين (66) . فقد وجه درقاوة كل جهودهم نحو تلمسان حيث عزم السكان على التخلص من قهر الأتراك فحاصروا القوات التركية والكروغلي (67) بالقصبة، وخطبوا باسم السلطان، وكتب عبد القادر بن الشريف بيعته وبيعة أهل تلمسان للسلطان الذي أرسل إليه الشيخ الدرقاوي رسالة يخبره فيها بذلك. ويبدو أن السلطان لم ينكر في أول الأمر ما قام به الشيخ وتلميذه، بل كان راضيا عن ذلك فأرسل رسالة إلى الشيخ الدرقاوي مؤرخة يوم 16 جمادى الثانية 1220هـ/1 سبتمبر 1805م يقول فيها : " الحمد لله وحده وصلى الله على سينا محمد وآله وصحبه وسلم، محبنا في الله الشريف الحسني الفقيه البركة سيدي العربي الدرقاوي سلام عليك ورحمت(كذا) الله وبركاته وبعد، فقد بلغنا كتابك فجزاك الله خيرا عن نصحك للمسلمين فإننا لا نريد إلا العافية والهناء لهم ولذلك وجهناك وما ذكرت عن قدومك ببيعة ولدكم السيد عبد القادر بن الشريف مع أصحابه فمرحبا به وبأصحابه فالله يوفقه للخير ويعينه عليه ... إن شاء الله وإذا قدمت علينا نتشاور معك في أمر تلك الناحية وما تشير به عليه يكون العمل إن شاء الله لأنه ليس من رأى كمن سمع" (68) .

ويظهر أن الشيخ وتلميذه بعثا برسائل أخرى للسلطان يحثانه على الحضور شخصيا لتلمسان للوقوف على مجريات الأحداث، ومن خلال رسالته كان السلطان مستعدا للتدخل عسكريا في المنطقة وأخر ذلك حتى انتهاء فصل الشتاء حيث يقول فيها : " ... فقد وصلنا كتابك وعرفنا ما فيه وبلغنا كتاب الشريف سيدي عبد القادر بن الشريف وكتبنا له الجواب وهاهو يصل فطالعه وتدبر أمره فإن الذي ظهر لنا من الرأي تأخير هذا الأمر إلى خروج فصل الشتاء ودخول فصل الربيع فهو أليق وأصلح إذ وقت الشتاء لا يتحرك فيه أحد من كثرة الوحل وعمارة الأودية وقلة المرافق فإذا خرج الشتاء نتوجه بحول الله وقوته بأنفسنا وعساكرنا المظفرة ويكمل الفتح إن شاء الله، فأكد على سيدي عبد القادر إذا سمع بوصولنا لوجدة أو تلمسان يقدم علينا إن شاء الله في متم شعبان 1220هـ"

ونستشف من رسالة السلطان ووعوده للشيخ وأتباعه بالجزائر أنه لم يرد اقحام نفسه في مخاطرة والمسألة لم تتضح بعد، ومن جهة أخرى تجنب السلطان تعريض أتباع الشيخ للخطر (70) ، وعالج المسألة بإرسال أخيه مولاي موسى مع مجموعة من الجنود إلى وجدة (71) لمنع انتشار عدوى التمرد الدرقاوي إلى أراضيه. وقد

وصل مولاي العربي الدرقاوي إلى فاس صحبة وفد تلمسان محملين بهداياهم وبيعتهم التي كتبها بن الشريف (72)، وتردد السلطان في قبول البيعة نهائيا بعد ما علم أن الأتراك ظنوا أن كل ما وقع بتلمسان كان من تدبيره (73).

وحسب الناصري ، قرر السلطان " أن يسلك في حقهم وحق الترك مسلكا هو ارفق بالجميع " حيث بعث القائد أبا السرور عياد بن أبي شفرة الوديي وأمره أن يصلح بين أهل تلمسان والترك والكرغلية حتى يتسلم الباب زمام الأمور بتلمسان وأمره بالقبض على ابن الشريف إن لم يكف عن قتال الترك وكتب إلى الباي " بما أزال شكه وأبطل وهمه" (74) .

وجاء رفض السلطان للبيعة كرسالة موجهة للباي والأتراك على أن ما وقع بتلمسان لم يكن من تدبيره، وحسب البعض، لما علم السلطان بتحركات الأتراك وفك الطوق المفروض على وهران واسترجاعهم تلمسان تنصل من وعوده للشيخ وتلميذه، وبعث رسولا جديدا للمنطقة اصلح بين أهل تلمسان والحكام الأتراك والكرغلية (75) . والثابت أن موقف السلطان الرافض لبيعة أهل تلمسان أثر على علاقته بالشيخ الدرقاوي وأتباعه، وشهدت البلاد عدة أحداث ومواجهات تداخلت فيها مجموعة من المعطيات باعدت بين الطرفين.

المواجهة بين المخزن وأتباع درقاوة

أثر موقف السلطان المولى سليمان من ثورة درقاوة بغرب الجزائر بشكل نسبي على الأوضاع الداخلية للبلاد بصفة عامة، وعلى علاقته بالشيخ العربي الدرقاوي وأتباعه خاصة بالأطلس المتوسط. رجع الشيخ إلى بلاده ولم يستسغ موقف السلطان الذي آثر التخلي عن أهالي تلمسان، ورفض بيعتهم وأرجعهم إلى بلادهم، وتلاشت صداقة الشيخ بالسلطان (76) وتباعدت العلاقات بينهما (77)، ووصلت إلى حد القطيعة مع إعلان السلطان الحرب ضد بعض عادات وممارسات الطرقية (78) في رسالته المشهورة ضد البدع. ولم يكن المولى سليمان ضد التصوف ولا ضد الطرق الصوفية بل هو نفسه كان منتميا للطريقة الناصرية (79)، وكان يدعو إلى تصوف الفقهاء أو التصوف السني الذي يختلف عن التصوف الشعبي الذي تمارسه العامة وبعض الطرق (80). كما عارض تقديس الأولياء وزيارة القبور وقيام المواسم، وبهذا تقترب مواقف المولى سليمان مع التي دعا إليها الوهابيون، لكن منطلقه العقائدي كان غير منطلقهم ولم يكن وهابيا (81).

وإذا كانت رسالته ضد البدع قد تطرقت إلى نبذ ممارسات بعض الطرق "وتصدى له أهل البدع من عيساوة وجيلالة وغيرهم من ذوي البدع والضلالة والحماقة والجهالة" (82) ، فإنها لم تخل من الإشارة إلى بعض الممارسات والتصرفات التي عرف بها درقاوة - رغم دفاعهم عن سنية طريقتهم واتباعهم طريق أبي الحسن الشاذلي - يقول السلطان : " ... والذكر الذي أمر به الله وحث

عليه ومدح الذاكرين به، هو على وجه الذي كان يفعله صلى الله عليه وسلم، ولم يكن على طريق الجمع ورفع الأصوات على لسان واحد، فهذه سنة السلف وطريقة صالحي الخلف، فمن قال بغير طريقهم فلا يسمع، ومن سلك غير سبيلهم فلا يتبع..." (83). ويظهر جليا أن كلام السلطان كان موجها لدرقاوة الذين جعلوا الذكر جهرا وجماعة من أسس طريقتهم، وعللوا ذلك بأن الناس في غفلة ولا بد من وسيلة لإشعارهم، وقد فهم الشيخ وأتباعه كلام السلطان الذي علل رسالته بأنها تسد الذرائع وتدعو إلى اتباع أوامر الشريعة (84). ونتيجة لذلك، بدأت تلوح في الأفق معارضة درقاوة للمخزن وسلطانه، فثار البربر خاصة بالأطلس المتوسط بإيعاز فكري من درقاوة (85)، وتفاقم الخطر على المخزن بعدما التف بربر صنهاجة وزناتة حول قائد واحد هو أبو بكر امهاوش زعيم آيت سيدي علي وأحد أتباع مولاي العربي الدرقاوي (86).

بدأت المواجهة بهزيمة أزرو سنة 1811 والتي أظهرت ضعف المخزن وفتحت المجال لسلسلة من الاضطرابات، خاصة بعد سنة 1814 التي ترك فيها المخزن حلفاءه التقليديين آيت ادراسن وجها لوجه أمام آيت أومالو (87). وأدت هذه الهزيمة إلى مواجهة مباشرة بين جنود السلطان وآيت أومالو بقيادة زعيمهم القوي أبي بكر امهاوش الدرقاوي الطريقة، حيث وجد السلطان نفسه محاطا من كل جانب في موقعة زايان سنة 1818م، التي قتل فيها ابنه مولاي ابراهيم ، في حين أسر هو مدة أربعة أيام (88).

بعد هزيمة زيان أصبح ابوبكر أمهاوش سيد الجبل (89)، ولم يبق في مقدور السلطان استغلال الصراعات التقليدية بين برابرة الوطاء وبرابرة الجبل الذين حاصروا مكناس سنة 1819، ودخلت سنة 1820 فاس التي كانت عرضة لهجومات القبائل المجاورة وجيش الوداية، حيث عجز المخزن عن تطويق الموقف رغم تغيير السلطان لقائد المدينة. وزاد التحاقه بمراكش الأمور تعقيدا بالمدينة رغم نداءات أهلها للسلطان بالتدخل، حيث اكتفى بنصحهم بالاعتماد على البربر ... فبعث إليهم كتابا وأمر ولده مولاي علي بقراءته عليهم بمحضر العلماء ، وإثر هذا عمت الفوضى أنحاء المدينة وظن الناس أن السلطان خلع نفسه، مما جعل أهل فاس يبايعون المولى ابراهيم بن اليزيد سلطانا جديدا في 24 محرم 16/1236 نونبر 1820م بحضور العلماء والطلبة، وقد ساند هذه البيعة كل من سيدي الحاج العربي بن علي الوزاني والشيخ العربي الدرقاوي (90). وساند الثورة إسوة بشيخهم أتباع درقاوة من البربر، أبو بكر امهاوش زعيم آيت أومالو وابن الغازي الزموري الذي كان يتقاسم معه زعامة البربر، وكان هو أيضا من أخص أتباع الشيخ الدرقاوي، وبذلك انضمت ثورة الجبال إلى ثورة الطرق (91).

وأمام رفض رؤساء الجيش من العبيد والاوداية الانضمام إلى جانب المتمردين أرسل مولاي العربي الدرقاوي إليهم حيث كان له فيهم أتباع، فقبضوا عليه

وسجنوه (92)، وكتبوا إلى السلطان يخبرونه بذلك فلم يرفض (93). ويبدو أن المولى سليمان استغل هذا الاعتقال واعتبره ورقة رابحة بيده (94)، فطيلة مدة اعتقال الشيخ التي دامت سنتين وأربعة اشهر، التزمت القبائل البربرية الهدوء بإيعاز من زعيميها أبي بكر امهاوش وبن الغازي الزموري لضمان حياة شيخهم (95)، الذي بقي معتقلا في حين استطاع السلطان القضاء على التمرد رغم وفاة المولى ابراهيم وبيعة أخيه المولى سعيد بفضل مساندة الجيش له وفتور حماس الزاوية الدرقاوية، خاصة لدى أتباعها بالأطلس المتوسط.

توفي السلطان المولى سليمان سنة 1238هـ/1822م بعد أن كلف ابن أخيه عبد الرحمان ابن هشام بتسيير دفة الحكم بعد وفاته، حيث عمل في بداية حكمه على استمالة جميع القوى إلى جانبه، فقرب إليه ابن الغازي الزموري الذي كان مطلبه هو إطلاق سراح شيخه مولاي العربي الدرقاوي، فكان له ما أراد. وبعد ذلك بشهور قليلة توفي الشيخ 1239هـ/1823م بعد حياة مليئة بالتحديات والصعاب والتنقلات.

خاتمة

قواسم مشتركة طبعت كلا من درقاوة مع شيخها المؤسس مولاي العربي الدرقاوين والمخزن على عهد السلطان المولى سليمان 1792/1822م، إنها إرهاصات التجديد وانتقاد الواقع، كل من منظوره ومرجعيته الخاصة. وقد أثر هذا الهم المشترك مع تباين الرؤى والمصالح والأولويات على العلاقات بين الطرفين حيث تحولت من علاقات احترام وتعاون إلى قطيعة وصلت حد المواجهة.

هوامش

- • تزامن وصول المولى سليمان إلى الحكم 1792/1822 مع بداية انتشار الطريقة الدرقاوية، فارتبطت علاقة المخزن بدرقاوة بعلاقة السلطان المولى سليمان(ت 1822م) بالشيخ العربي الدرقاوي (ت1822).

1 - الصغير عبد المجيد، إشكالية إصلاح الفكر الصوفي في القرنين 18/19م.احمد بن عجيبة ومحمد الحراق،دار الآفاق الجديدة،الدار البيضاء، الطبعة الثانية 1415/1994م، ص 94.

2 - Général P ,André, contribution à l'etude des confréries religieuses musulmanes.Alger,ed la maison des livres, 1956, P 246

3 - المنصور محمد: تطوان والمخزن في عهد المولى سليمان(1792/1822م). في:تطوان خلال القرن الثامن عشر(1727/1822م)، مطبعة الهداية تطوان 1994،ص 12-13.

- شبه محمد بن محمد الجنوي(ت1214هـ/1799-1800م) الطريقة الدرقاوية بالثورة الفرنسية: " إن درقلوة قاموا في هذا القطر والنصارى الفرنصيص قاموا في قطرهم وكلهم ينشأ منهم فساد هذا العالم".

- داود محمد: تاريخ تطوان، مطبعة الهداية ، تطوان 1388(1966م المجلد السادس ص 195.
- نعتت الطريقة الدرقاوية كمدرسة فلسفية ودينية لكثرة مريديها وطوائفها.

Rinn,Louis, Marabouts et Khouan , Etude sur l'Islam en Algerie. Alger Adolphe , 1884, P 263.

4 - هو أبو المعالي مولاي العربي بن احمد الدرقاوي، شريف حسني من الأشراف الدرقاويين المنتشرين في عدة مناطق من المغرب، وينتسبون إلى الإمام أبي عبد الله الملقب بأبي درقة حيث كانت له درقة كبيرة يتوقى بها في الحروب أيام الموحدين وصار هذا اللقب يطلق على ذريته.

5 - الصغير: م س ص 40.

6 - المكودي محمد، رسالة، مخطوط الخزانة العامة، رقم 2744، ص 313.

7 - الكتاني محمد بن جعفر: سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، طبعة حجرية، فاس 1316/1898م، ج 1، ص 177.

- الكتاني عبد الحفيظ: الترجمان المعرب عن اشهر فروع الشاذلية بالمغرب، مخطوط الخزانة العامة الرباط، مجموع رقم:د 4402، و 76 ظ .

8 - الصغير م س ص 44 .

Drague George , Esquise d'histoire religieuse du Maroc , Confréries et Zaouias, Paris Peyronnet, 1951 , P 265.
Michaux Bellaire , Les Derquaoua de Tanger , in Revue de monde musulman , V XXXIX, juin 1920, PP.101-102.

9 - اعتبر A.Cour أن الطريقة الشاذلية هي الطريقة الرسمية بالبلاد

Cour, Auguste , l'Etablissement des dynasties des cherifs au Maroc et leur rivalité avec les Turcs de régence d'Alger 1509/1830 , Paris Ernest-Hereux, 1904 , P 219.

10- الكتاني عبد الحفيظ : م س و 76 ظ .
الدرقاويون معروفون بملابسهم المرقعة وبعاز يتكئون عليه وبلحيهم وبشعرهم الطويل وبسبحة طويلة على العنق

La Croix N , Les Darquaoua d'hier et d'aujourdhui , Alger , 1902 P 4.

11 - Douin Jeanine , Un Cycle oral Hagiographique dans le Moyen Atlas Marocain , Paris , publication de la Sorbonne, 1975 , P 15.

12 - بوكاري احمد: الحركة الصوفية في المغرب خلال القرن 19م، دكتوراه الدولة، كلية الآداب مراكش1993، ج 1 ، ص 146.

استحسن مولاي العربي الدرقاوي الذكر جهرا وقال عن حلقة الذكر أنها " تقوم مقام السر لأن الوقت وقت غفلة" .

الدرقاوي العربي: شورا الطوية في مذهب الصوفية، مخطوط الخزانة العامة الرباط، مجموع رقم:د 1856، ص 31.

ويقول تلميذه وصاحبه الجزائري أبو زيان المسكري: "كانت حلقات الذكر عنده هي أسس الوسائل وأسمى الفضائل" . المعسكري ابو زيان، كنز الأسرار في مناقب مولانا العربي الدرقاوي وبعض أصحابه الأخيار، مخطوط الخزانة العامة رقم د 1339، ص 58.

13 - الفاسي محمد البشير، قبيلة بني زروال، مظاهر حياتها الثقافية والاجتماعية والاقتصادية، مطبوعات المركز الجامعي للبحث العلمي، كلية الآداب، الرباط، 1962، ص 81 (نص الظهير ص ص80- 81-82).

14 - ن م س ص 82

15 - شغل صاحب هذا الكتاب منصب قاضي قبيلة بني زروال في العقود الأولى من القرن العشرين، وبحكم وظيفته اطلع على عدة ظهائر ورسائل ووثائق ومخططات ذكر بعضها في كتابه واعتبرت الآن مفقودة .

16 - الزكاري احمد بن محمد: مجموع رسائل أبو عبد الله محمد العربي الدرقاوي الحسني في التصوف وأدبه، طبع ونشر دار الطباعة الحديثة البيضاء، دون تاريخ، (التقديم) ،ص 3.

17 - شهدت فترة حكم سيدي محمد بن عبد الله(1757-1790م) سنوات عجاف أدت إلى مجاعة امتدت من عام 1190هـ/1776م إلى 1194/1780م ، ويذكر الزياني ذلك قائلا: "... وارتفع المطر ووقع القحط وعظمت المجاعة من عام تسعين ومائة وألف إلى عام ستة وتسعين ومائة وألف، كلها مجاعة إلى أن أكل الناس الميتة والدم والخنزير والآدمي وفني أكثر الخلق من الجوع".

- الزياني أبو القاسم: البستان الظريف في دولة اولاد مولاي الشريف، دراسة وتحقيق رشيد الزاوية، مركز الدراسات والبحوث العلوية الريصاني، الطبعة الأولى 1992، القسم الأول، ص 414.

18 - الدرقاوي العربي : شورا الطوية، م س ص 155.

19 – الدرقاوي العربي : وصايا ورسائل، جائزة الحسن الثاني للكتب والمخطوطات، الدار البيضـــاء، 1971 – 269 – ب 12 ، رقم الفيلم 2 ، دار الوثائق الرباط، ص 96، (ميكرو فيلم غير مرقم).

20 – الضعيف محمد بن عبد السلام: تاريخ الدولة السعيدة، تحقيق وتعليـــق وتقديـــم :احمـــد العمـــاري، دار المأثورات الرباط، الطبعة الأولى 1986، ص 221.

21 – بن عجيبة احمد: الفهرسة، تحقيق وتعليق وتقديم: ذ.عبد المجيد صالح حمدان، دار الغد العربي القـــاهرة، الطبعة الأولى ، 1990، ص 67، حول حصار المولى اليزيد لسبتة، انظر الضعيف، تاريخ م س مـــن ص 221 إلى ص 224.

22 – الكنسوسي أبو عبد الله محمد بن احمد: الجيش العرمرم الخماسي في دولة اولاد مولانا علي السجلماسي، تقديم وتحقيق وتعليق أحد حفدته، احمد بن يوسف الكنسوسي، المطبعة والوراقة الوطنية مراكـش، 1994، ج 1 ، ص 273.

- الناصري احمد بن خالد: كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق وتعليق ولـــدي المؤلـــف، جعفر الناصري ، محمد الناصري، دار الكتاب الدار البيضاء، 1956، ج 8 ص 92 .

23 – Odiot , Paul , Role politique des confréries religieuses et des Zaouias au Maroc , in Bulletin de la societé de géographie et d'archéologie d'Oran , T 51, 53° annéé, Fascicule 184, mars , 1930, P 48.

- الناصري ، م س ج 6 ص 92 .

24 – الفاسي ، قبيلة بني زروال، م س ص 45.

. Odinot , op cit P 47

لم تؤثر محاكمة درقاوة تطوان سنة 1794 على العلاقة بين الرجلين، حيث كلف السلطان الشيخ مولاي العربي بالتوسط لدى أخيه مسلمة بالجزائر.

25 – يذكر الضعيف في أحداث 24 جمادى الثانية 1212 هـــ أنه ورد خبر وفاة مولاي سلامة (مسلمة) والســـيد العربي الدرقاوي في البحر قرب وهران، لكن من سير الأحداث يظهر أن الذي غرق هو ابن الســـلطان احمد، في حين أكمل الشيخ مهمته وناول رسالة السلطان لأخيه مسلمة الذي رجع إلى سجلماسة.

- الضعيف: م س ص 300.

26 – الناصري ، م س ج 8 ص 92 .

لكن أودينو يذكر أن المولى مسلمة رفض عرض السلطان ورجع إلى المشرق حيث توفي هنـــاك. Odinot op cit P 48 عن المولى مسلمة انظر :الضعيف، تاريخ ، م س ص ص 262–263–275–290.

- الناصري ، م س ج 8 ص ص 90–91–92

- الكنسوسي، م س ج 1 ص 273 . Odinot op cit P 47-48

27 – الضعيف ، تاريخ ، م س ص 291.

28 – نقلا عن المنصور تطوان والمخزن، م س ص 11، وثائق الخارجية البريطانية، مراسلات ســـنة 1794 ضمن المجموعة F O 52/10

29 – المنصور، تطوان والمخزن، م س ص 11 .

30 – يقول الأستاذ محمد المنصور أن الأستاذ عبد الغفور بن دريس ألقى عرضا في ندوة تطوان في القرن 18 م (لم ينشرمقاله) حول أحداث مرتيل سنة 1794 وقال أن الوثائق القنصلية الاسبانية تشير بوضوح إلـــى علاقة الدرقاويين بهذه الأحداث. المنصور ، تطوان والمخزن، م س ص 12 الهامش 7 .

31 – هذا التمرد دفع المولى سليمان إلى ترأس حملة بنفسه لعقاب القبائل الثائرة وحسب القنصل الانجلـــيزي "ماطرا" فقد رفض السلطان دخول تطوان ووبخ أعيانها خارج المدينة، ولولا العلاقة المتميزة التي تجمـــع فاس بتطوان لكان العقاب أشد حسب نفس المصدر.

- وثائق الخارجية البريطانية، رسالة ماطرا في 26 يونيو 1794. (نقلا عن المنصور تطوان والمخـزن، م س ص 12.)

32 – داود محمد ، تاريخ تطوان، المطبعة الملكية، الرباط، 1411/1990 المجلد السابع ص 334.

33 – ن م س ص 336.

34 – السعود عبد العزيز، تطوان خلال القرن التاسع عشر، مساهمة في دراسة المجتمع المغربي، منشـــورات جمعية تطوان اسمير 1996، ص 138.

35 – داود محمد: تاريخ تطوان، مطبوعات معهد مولاي الحسن بتطوان، المجلد الثالث، ص 211.

36 – الضعيف، تاريخ تطوان، م س ص 251–252.

El Mansour Mohamed , morocco in the reign of Mawlaya Sulayman , Cambridgeshine England , middle east and north africain stidies press lrd 1990, P 89-91.

37 - داود: م س ص 216.
- المنصور ، تطوان والمخزن، م س ص 14-15.
38 - كانت حياته مليئة بالعجائب والتجليات ومن هنا جاءت تسميته بابن عجيبة . عن حياته انظر: داود: تاريخ تطوان، م س ص 214-242-243. له نحو أربعين مؤلفا داود، تاريخ تطوان، م س م 6 ، ص 219-241.
39 - عزوزي حسن، محاولة إصلاح الفكر الصوفي في عهد المولى سليمان، ابن عجيبة كنموذج، جامعة مولاي علي الشريف الخريفية، أعمال الدورة الرابعة الريصاني، دجنبر 1992، ص 136.
40 - يقول ابن عجيبة عن خرق عوائد النفس: " العوائد كل ما تعودته النفس وألفته واستمرت معه حتى صعب خروجها عنه.." ، وقال كذلك: " فخرق العوائد إبدالها بضدها" . ابن عجيبة احمد، إيقاظ الهمم في شرح الحكم، تقديم ومراجعة محمد احمد حسب الله، دار المعارف، القاهرة، 1985، ص 300-302.
41 - الصغير ، م س ص 199.
42 - ن م س ص 181.
43 - ابن عجيبة ، الفهرسة ، م س ص 57.
44 - ن م س ن ص .
45 - المكودي محمد : الإرشاد والتبيان في رد ما أنكره الرؤساء من أهل تطوان، مخطوط الخزانة العامة الرباط، مجموع رقم د 1856، ص 206-207.
ألف المكودي هذا المؤلف للرد على ما تعرض له درقاوة من تنكيل وتعذيب بتطوان، وكان واحدا ممن شملهم الاعتقال، واعتبر البعض كتابة هذا المؤلف بمثابة مظهر من مظاهر الثورة .
46 - ن م س ص 207.
47 - ن م س ص 208-209.
48 - ابن عجيبة، الفهرسة، م س ص 57.
49 - المكودي ، الارشاد والتبيان، م س ص 210.
ما كتبه الفقيه احمد الكوهن: " ...الحمد لله القريب المجيب، وصلى الله على سيدنا محمد الحبيب وبعد فيقول كاتبه احمد بن محمد الكوهن، نحن على السنة المحمدية مجتنبون للبدعة والظلمة، وما يذكر على بعض الفقراء من اختلاط النساء بالرجال ونهب أموال الناس وكثرة الالحاح في السؤال، فنحن مبرؤون بفضل الله من ذلك ومن ظهر عليه شيء فليؤاخذ به " .داود، تاريخ تطوان، م س م 3 ص 219.
50 - ابن عجيبة ، الفهرسة ، م س ص 58-51. الصغير ، م س ص ص 199-202.
51 - La Croix op ci t p 5 .
52 - زنيبر محمد ، صفحة عن تاريخ التضامن المغربي ، ضمن مذكرات من التراث المغربي، ج 4 ، 1985، ص 220.
53 - Belhamissi moulay , Histoire de la marine algerienne , 1515-1830, Alger , entreprise nationale, 2° Ed 1986, P 164
54 - الغالي العربي، الحياة السياسية في نيابة الجزائر إبان عصر الدايات(ثورة ابن الشريف الدرقاوي ضد الأتراك في مطلع القرن التاسع عشر،في دراسات تاريخية، السنة 7، العددان 23-24، أيلول، كانون الأول، 1986 ص 166.
- يصور أحد المقربين من السلطة التركية حكم الأتراك بالجزائر قائلا:" واعلم أن الاتراك لما تمهد لهم الملك بالجزائر، كثر ظلمهم وفسادهم، بحيث لا يليق أن يذكر ما كانوا منه من الظلم و المناكر وتواتر ذلك على الألسنة بغاية التواتر فاشتغلت العلماء من ذلك في نظمهم وسألت الناس أن يزيل عنهم ما حل من ظلمهم ..." - الزياني محمد بن يوسف، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تقديم وتعليق: المهدي البوعبدلي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1384-1978، ص 72.
55 - الغالي : م س ص 164.
56 - La Croix , op , cit , P 18.
57 - الزياني: م س ص 208.
58 - مجهول، تقييد، مخطوط الخزانة العامة تحت رقم:د 1492-و أو .
- الزياني أبو القاسم: الروضة السليمانية في ملوك الدولة الاسماعيلية ومن تقدمها من الدول الاسلامية، مخطوط الخزانة العامة، رقم:د 1275 و 181 و .

- الناصري، م س ص 109.

Terrasse Henri , Histoire du Maroc , Casablanca, Ed Atlantides 1950, T II, P 308.
Odinot , op , cit , P 44.

59 – هو محمد بن عبد الله بن الاحرش من عرب المغرب الأقصى شارك في حرب تحرير مصر من يد الفرنسيين، وبعد جلاء هؤلاء عن مصر، استقر بشرق الجزائر، وقاد أول ثورة درقاوية ضد الحكام الأتراك. ويرى بعض المؤرخين أن ثورته قامت بدعم من الانجليز وباي تونس حمودة، لكنها في الحقيقة كانت رد فعل الأهالي ضد ظلم وجور الأتراك تزعمه أتباع الطريقة الدرقاوية . حول ثورته انظر" الزياني:الترجمان المعرب عن دول المشرق والمغرب، تحقيق وتقديم: محمد غسان عبيد، دبلوم الدراسات العليا، كلية الآداب الرباط، ج 3 1993–19945، من ص 833 إلى 835.

- الجزائري محمد بن عبد القادر، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، شرح وتعليق ممدوح حقي، نشردار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر، الجزائر 1964، ص ص 117–118.
- بن عبد الكريم محمد حمدان بن عثمان خوجة الجزائري ومذكراته، الجزائر، ط 1 1972، ص 27–28.

60 – الزياني: م س من ص 208 إلى 213.

61 – مجهول تقييد: م س و 1 و .

62 – Cour , op , cit , P 230.

63 – الزياني: الترجمان المعرب، م س ج 3 ص 834.

Drague , op , cit , P 252
Odinot , op , cit , P 45.

64 – الناصري: م س ج 8 ص 110.

65 – الغالي: الحياة السياسية م س ص 169

Drague , op , cit , P88
Odinot , op , cit , P 44
Brignon et autres , Histoire du Maroc , Paris Hatier , 1967, P 265.

66 – زنيبر: م س ص 221.

67 – الكروغلي هو المولد من أب تركي وأم جزائرية

68 – الفاسي: قبيلة بني زروال، م س ص 44–45.

– تورد المصادر المؤيدة والمعارضة لدرقاوة أحداثا غريبة عن حقيقة موقف الشيخ من الثورة، فالمصادر الأولى تؤكد أن المولى العربي أمر تلميذه بفك الحصار عن وهران والكف عن حرب الأتراك. – مجهول تقييد: م س و أو

- المشرفي العربي، الحسام المشرفي لقطع لسان الساب العجفري الناطق بخرافات الجعسوس سيء الظن أكنسوس، م خ ع الرباط مجموع رقم ك 2276 ص 20.

في حين تؤكد المصادر الثانية أن الشيخ رأى فساد تلميذه بن الشريف وكشف عن كذبه فتبرأ منه ومن أعماله. الزياني محمد، م س ص 212–213.

69 – الفاسي : م س ص 44.

70 – El Mansour , op , cit , P 169-170

71 – Ibid P 170

72 – خلف وصول بيعة أهل تلمسان فرحة عارمة في بعض المدن المغربية يقول الضعيف عن صدى هذا الخبر بالرباط: " وفي يوم الخميس 17 جمادى الثانية عام 1120 هـ ورد كتاب السلطان على أهل الرباط بان تلمسان وفدوا بالبيعة على مولانا سليمان وأتوا مع مولاي العربي الدرقاوي وفي الغد زين سوق الرباط وسلا وتحزموا للعب بالبارود وخرجوا الأنفاض" الضعيف، م س ص 339.

الكنسوس: م س ج 1 ص 284.

73 – الناصري ، الاستقصا، م س ج 8 ص 110.

- – الزياني، م س ج 3 ص 843.

74 – الناصري ،الاستقصا، م س ص 111.يعلل بعض المؤرخين موقف السلطان بأنه لم يرد الدخول في حرب ضد أتراك الجزائر وآثر إصلاح ذات البين بين سكان تلمسان والحكام الأتراك وصب اهتمامه نحو استرجاع المناطق المغربية الحدودية: فكيك 1805 وتوات وكورارة 1808م.

Drague , op , cit , 253

- يروي الزياني حكاية غريبة تجانب الحقيقة عن قدوم الشيخ ببيعة تلمسان، يقول الزياني أن السلطان أرسل الحاج الطاهر مع الشيخ ليتجسس عليه، وبعد رجوع الشيخ أكد الحاج الطاهر أن كل ما وقع كان من تدبير

مولاي العربي فطرد السلطان الشيخ ورد البيعة وأرسل القائد عياد للمنطقة. الزياني: م س ج 3 ص 833-834.

75 - الغالي: م س ص 169.

Brignon , op , cit , P 266.
Odinot , op , cit , P 146.
Cour , op , cit , P 230.

76 - Odinot , op , cit , P 47.

77 - Drague , op , cit , P 254.

78 - حسني عبد اللطيف: جوانب من الأوضاع السياسية والاجتماعية بالمغرب خلال عهد السلطان المولى سليمان، جامعة مولاي علي الشريف الخريفية ، أعمال الدورة الرابعة، الريصاني، دجنبر 1992، ص 124. يقول حسني عبد اللطيف أن المولى سليمان كان له موقفين من التصوف الطرقي: مبدئي رافض لظاهرة الزوايا باعتبارها من الانحرافات المخالفة للإسلام، عملي يذهب إلى تشجيع الظاهرة مع مراقبتها واستغلال نفوذها. حسني: م س ص 125.

79 - المنصور محمد: المولى سليمان لم يكن وهابيا. جامعة مولاي علي الشريف الخريفية، أعمال الدورة الرابعة، الريصاني، دجنبر 1992، ص 68

80 - ن م س ص 69

81 - ن م س ص 70-72. يؤكد الأستاذ المنصور أن المولى سليمان منع زيارة القبور وإقامة المواسم انطلاقا من منطلقه المالكي الأشعري وليس لأنه تأثر بالدعوة الوهابية أو تبنى بعض أفكارها.

82 - الزياني أبو القاسم: الترجمانة الكبرى في أخبار المعمورة برا وبحرا تحقيق وتقديم عبد الكريم الفيلالي، المحمدية 1967، ص 467.

83 - الزياني — م س ص 468.

84 - ن م س ص ، نص الرسالة من ص 466 إلى 470.

85 - Odinot , op , cit , P 59

86 - Brignon , op , cit , P 267.

87 - اعتمد المخزن على التناقضات الموجودة بين برابرة الوطاء فبرابرة الجبل وصراعهم التقليدي حول الأرض والمرعى في القرن 18 م، ولم يخرج المولى سليمان عن هذه القاعدة بل استغلها لتدعيم سلطته، لكن بعد سنة 1814 تخلى السلطان عن حلفاء المخزن التقليديين برابرة الوطاء(آيت ادراسن، زمور، آيت يمور) في وجه برابرة الجبل آيت اومالو(زيان، بني مكيلد)، مما أضعف الذرع الذي كان يحمي المخزن، وسيظهر ذلك جليا في هزيمة زيان 1818 وحصار مكناس سنة 1819.

88 - الناصري ، م س ج 8 ص 134-135 Mensour , op , cit , P 188-189-190.

89 - Brignon , op , cit , P 267.

90 - الناصري: الاستقصا، م س ج 8 ص 148-149-150.

- الكنسوسي، م س ج 1 ص 313-314-315 . (عن فتنة أهل فاس انظر نفس المصدر من ص 313 إلى 327). اودينو نسب إلى مولاي عبد الرحمان الدرقاوي قوله: أن جده مولاي العربي لم يشارك في بيعة مولاي ابراهيم، وأن السبب الحقيقي لسجنه هو رفضه للمخزن خاصة اضطهاده للمشاركين في التمرد قائلا: "درقاوة لا يمكنهم أن يكونوا تحت خدمة أي شخص القوة يأخذونها من الله"

- Drague , op , cit , P 254. Odinot , op cit , P 48

- في حين يذكر رين أن مولاي العربي رفض الانضمام إلى المؤيدين للسلطان الجديد، وحث اتباعه على ذلك، كذلك رفض تأييد - هو وأتباعه - المولى سليمان، وبقي محايدا في هذا التمرد، لكن السلطان اعتقله .... ورفض مولاي العربي الخروج من السجن حتى يتنحى سليمان عن الحكم . Rinn, op , cit , P 235

91 - Brignon , op , cit , P 267

92 - الناصري : م س ج 8 ص 150. الكنسوسي: م س ج 1 ص 316.

93 - الناصري: م س ج 8 ص 150 . الكنسوسي: م س ج 1 ص 316

94 - Brignon , op , cit , P 267

95 - Drague , op , cit , P 92-255.